المسلم في فصل الشتاء

أبو علي
زين العابدين بن كامل

تقديم
الدكتور/ أحمد فريد
الدكتور/ ياسر برهامي   الدكتور/ سعيد الروبي

بسم الله الرحمن الرحيم

دار الخلفاء الراشدين
الأسكندرية

رقم الإيداع
٢٣٥٢٢/٢٠٠٧

دار الخلفاء الراشدين
الأسكندرية ـ أبو سليمان
ش عمر أمام مسجد الخلفاء الراشدين
٠١٠٥٠١٣١٥١ - ٠١٢٠١٥٢٩٠٨

دار الفتح الإسلامي
الأسكندرية - مصطفي كامل
بجوار مسجد الفتح الإسلامي
٠١٠٢٧٧١٠٦٠ - ٠١٠٦٧١٤٧٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين، المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين؛ وبعد:

فإنه يُسعدني ويُشرفني أن يقوم بمراجعة هذه الرسالة المختصرة المتواضعة وأن يقدم لها أصحاب الفضيلة: **الدكتور أحمد فريد، والدكتور ياسر برهامي، والدكتور سعيد الروبي**، حفظهم الله وأيدهم وسددهم.

وقد كان للمشايخ الأفاضل بعض التوضيحات والإضافات والتعليقات الهامة، وقد تم إدراجها بمضمون الرسالة، فأدعو الله أن يجازيهم خيرًا عني وعن المسلمين وأن يجمعنا بهم في جنته ودار كرامته.

وقد قال ﷺ: «**من أتى إليكم معروفًا فكافئوه فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه**»[1].

---

(١) رواه أبو داود، والنسائي واللفظ له، وابن حبان، والحاكم وقال: «صحيح على شرطهما».

والله أسأل أن يرزقنا جميعًا الإخلاص في القول والعمل إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...

وكتبه/
زين العابدين بن كامل

تقديم فضيلة الشيخ/ أحمد فريد

الحمد لله الذي رضي من عباده باليسير من العمل، وتجاوز لهم عن الكثيرِ من الزللِ، وأفاض عليهم النعمةَ، وكتب على نفسه الرحمة، وضَمَّنَ الكتابَ الذي كتبه: أن رحمته سبقت غضبَه، دعا عباده إلى دارِ السلام فَعَمَّهم بالدعوة، حجة منه عليهم وعدلا، وخَصَّ بالهدايةِ والتوفيقِ من شاء نعمةً ومِنَّةً وفضلا، فهذا عدلُه وحِكمتُه وهو العزيزُ الحكيم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاءُ والله ذو الفضل العظيم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةَ عبدِه وابن عبدِهِ وابن أمتِهِ، ومن لا غنى به طرفة عينٍ عن فضلِهِ ورحمته، ولا مطمع له في الفوزِ بالجنة والنجاةِ من النار إلا بعفوِهِ ومغفرته، وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسوله، وصفِيُّه وخليله، أرسله رحمةً للعالمين، وقدوةً للعاملين، ومَحَجَّةً للسالكين، وحُجَّةً على العباد أجمعين، وقد تركَ أمته على الواضحةِ الغَرَّاء، والمحجَّةِ البيضاء، وسلك

أصحابه وأتباعه على أثره إلى جناتِ النعيم، وعدَل الراغبون عن هديه إلى صراطِ الجحيم، ليهلكَ من هلكَ عن بيِّنةٍ، ويحيى من حيَّ عن بينة، وإنَّ الله لسميع عليم، فصلَّى الله وملائكته وجميع عباده المؤمنين عليه، كما وَحَّدَ الله -عزَّ وجلَّ- وعرفنا به ودَعا إلَيه وسلم تسليمًا.

ثم أما بعد:

فمن سعادة المؤمن أن يعرف شرف زمانه، وخطر أنفاسه، وأن كل نفس من أنفاس العمر جوهرة ثمينة، يستطيع أن يشتري بها كنزًا لا يفنى أبد الآباد، ثم من سعادة المسلم كذلك أن يعرف وظائف المواسم، حتى يعمرها بما يحبه الله عز وجل من الطاعات والعبادات، والشتاء ربيع المؤمن كما قال السلف، رضي الله عنهم: قصر نهاره فصام، وطال ليله فقام.

وقد اطلعت على هذه الرسالة «**المسلم في فصل الشتاء**» لأخينا الفاضل/ زين العابدين بن كامل فرأيتها على قصرها محصلة للمقصود، موصلة للمرغوب من انتهاز فرصة الشتاء في طاعة الله عز وجل، كما بين فيها بعض

الأحكام وما ثبت من سُنَّة خير الأنام ﷺ في كثير مما يحصل في فصل الشتاء من الريح والرعد والمطر...

فأسأل الله تعالى أن يتقبل هذه الرسالة بقبول حسن وأن يرزق أخانا زين العابدين برها وذخرها، والله الموفق للطاعات والهادي لأعلى الدرجات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...

وكتبه
أحمد فريد

تقديم فضيلة الشيخ/ **ياسر برهامي**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله ﷺ، فإن الله جعل مرور الأوقات تذكرة لعباده المؤمنين بانتقال البشر من حال إلى حال، وعدم ثبات الدنيا على حال، وللمؤمن في كل وقت من الأوقات عبودية علمًا وعملًا واعتقادًا وسلوكًا، ويأتي فصل الشتاء على المؤمن ليجد فيه فرصة لمزيد من عبادة الله تعالى، مشاهدًا لآثار قدرته ودلائل وحدانيته فيما يرى من نزول المطر وتصريف الرياح، ويتذكر ببرده زمهرير جهنم فيدعو ربه أن ينجيه منها، ويعافيه من عقوبته.

وهذه الرسالة المختصرة المفيدة للأخ الكريم/ **زين العابدين** حول وظائف فصل الشتاء، والتحذير من مخالفات عقدية ولفظية وعملية يقع فيها بعض الناس في فصل الشتاء، نسأل الله أن ينفع بها كاتبها وقارئها وناشرها، وأن يرزقنا جنته ويعافينا من عقوبته.

وكتبه

ياسر برهامي

تقديم فضيلة الشيخ/ سعيد الروبي

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فقد غوى، ولا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله تعالى شيئًا، وبعد:

فقد قرأت رسالة الأخ/ **زين العابدين كامل**: «**المسلم في فصل الشتاء**» فوجدتها رسالة طيبة جيدة، جمع فيها الأخ زين: مسائل هامة تتعلق بفصل الشتاء والواجب على المسلم في هذا الفصل من فصول السنة، سواء من ناحية الاعتقاد أو من ناحية العمل.

والإنسان ينسى ويحتاج إلى تذكرة، فينبغي أن يكون عنده رسالة جامعة لما يتعلق بفصل الصيف يقرؤها فيتذكر ما فيها، ورسالة تتعلق بفصل الشتاء يقرؤها فيتذكر ما عليه، وليذكر الآخرين بهذه المعاني، مثلما نفعل في شهر رمضان عندما نقرأ الرسائل والكتب التي تتعلق بأحكامه، ونذكر بها الناس قبل قدومه.

فاللهَ أسأل أن يجعل لهذه الرسالة القبول والنفع، واللهَ أسأل أن يوفقه لمزيد من الكتابة والجمع، واللهَ أسأل لي ولجميع المسلمين أن يوفقنا في جميع شهور السنة لكل ما يحبه ويرضاه.

وكتبه

الفقير إلى عفو ربه

سعيد الروبي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خلق الخلق وكتب عليهم الفناء، الكل يفنى وله وحده البقاء، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، البدر جبينه إذا سُر استنار[1]، واليم يمينه فإذا أعطى أعطى عطاء من لا يخشى الافتقار، والحنيفية دينه الدين القيم المختار، رفع الله ببعثته عن أمته الأغلال والآصار، فصلِّ اللهم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الأطهار الأخيار.

---

(١) كان رسول الله ﷺ إذا سُر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، كما في صحيح البخاري وغيره.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾.
[الحج: ١، ٢].

أما بعد:

فقد جعل الله تعالى في كل يوم وليلة لعباده المؤمنين وظائف موظفة عليهم من وظائف طاعته، فمنها ما هو

فرض كالصلوات الخمس ومنها ما يُندبون إليه من غير افتراض كنوافل الصلاة والذكر وغير ذلك، وجعل في الشهور أيضًا وظائف موظفة على عباده كالصيام والزكاة والحج.

وقد ذكر الله تعالى أنه أنعم على قريش بفصل الشتاء والصيف، قال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾[قريش]، فكانوا يذهبون في فصل الشتاء إلى اليمن وفي فصل الصيف إلى الشام للتجارة وغيرها، وأرشدهم الله أن يشكروا هذه النعمة العظيمة بعبادته وحده لا شريك له.

فاعلم أن لله في كل وقت عبادة، والمسلم دائمًا يهتم بواجب الوقت الذي هو فيه، ويغتنم الفرص في كل زمان ليحقق عبوديته لله -سبحانه- التي خُلِق من أجلها، وزمن الشتاء له واجباته التي يجب على المسلم أن يحافظ عليها، وقد منَّ الله عليَّ بكتابة رسالة سابقة بعنوان «**المسلم في فصل الصيف**» وقد ذكرنا فيها

ما يجب على المسلم والمسلمة فعله في فصل الصيف، وما يجب كذلك تركه، ورأيت أنه إتمامًا للفائدة أن أقوم بكتابة هذه الرسالة المختصرة لأخواني المسلمين عن فصل الشتاء حتى يعيش المسلم دائمًا صيفًا وشتاءً في طاعة الله جل وعلا.

ورأيت أن تكون بهذا العنوان «**المسلم في فصل الشتاء**»، وفي هذه الرسالة نطوف سريعًا حول عدة وقفات تختص بفصل الشتاء، وندعو الله أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل وأن يجعلنا من عباده المخلصين.

﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾

وكتبه الفقير إلى الله

أبو علي

زين العابدين بن كامل

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

الوقفة الأولى: تصحيح العقيدة

لابد أن نعلم أن الإسلام عقيدة، تنبثق منها شريعة، هذه الشريعة هي التي تنظم شؤون الحياة، ولن يقبل الله من قوم شريعتهم إلا إذا صحت عقيدتهم، لذلك كان السلف يصححون أولًا العقيدة، وهذا هو الذي فعله المصطفى ﷺ.

فلقد أصَّل العقيدة في قلوب الصحابة في مكة المكرمة ثلاثة عشر عامًا، يربيهم على التوحيد الخالص ونبذ الشركيات بكل أنواعها وصورها، وقد تميز المنهج السلفي بأنه جمع بين العقيدة والعمل والسلوك، لأن هذه هي العلامات البارزة على طريق أهل السُنَّة، وركن التوحيد وأول الواجبات على كل مسلم ومسلمة.

قال النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه لما أرسله إلى أهل اليمن: **«إنك تَقْدُمُ على قومٍ أهل كتابٍ، فليكُنْ أولَ ما تَدْعُوهم إليه عبادةُ اللهِ عز وجل»**، وفي رواية: **«شهادةُ**

أن لا إلهَ إلا اللهُ»، وفي رواية: «**إلى أن يوحّدوا اللهَ**»[١].

دل ذلك على أن من لم يوحد الله ﷻ لم يعرف الله، فالواجب أن يعرف الإنسان ربه تعالى ويوحده، وهذا الحديث صدَّر به البخاري كتاب التوحيد من صحيحه، وهو دليل على أن هذا أول واجب على المكلف، وللأسف هناك من انشغل ممن ينتسبون إلى الدعوة عن علم التوحيد بأمور أخرى، ولم يعرف هؤلاء أن كلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة، ففساد الاعتقاد من أكبر أسباب هزيمة المسلمين، وإذا تدبرت التاريخ رأيت ذلك واضحًا كالشمس في وضح النهار، فهذا صلاح الدين الأيوبي قبل أن يقدم على قتال الصليبيين صحح أولًا العقيدة في البلاد وحارب العقائد الفاسدة وأخرج أصحاب العقائد الفاسدة من المجتمع، ليصفّيَ المجتمع من هذه الضلالات والخرافات بل والشركيات التي كانت موجودة يومها، وذلك بأنه حارب الروافض ومن

(١) متفق عليه.

على شاكلتهم، ثم شرع بعد ذلك في قتال الصليبيين وحرر بيت المقدس.

«اللهم ارزق الأمة الصلاح، لتكون أهلًا من جديد لصلاح مثل صلاح الدين»

بل وجاء الأمر واضحًا في القرآن قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩]، وهذا العلم الذي أمر الله به هو العلم بتوحيد الله، وهو فرض عين على كل إنسان لا يسقط عن أحد، كائنًا من كان، ومن أهم الأمور التي يجب علينا معرفتها في هذا العلم، تدبر أسمائه وصفاته وأفعاله الدالة على كماله وعظمته وجلاله، وأنه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير وأنه تعالى المنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة وأنه المستحق بحق أن يُعبد فلا يُكفر وحده لا شريك له.

النوء

وكانت هذه المقدمة في أهمية التوحيد لأننا نرى البعض في فصل الشتاء يمسك بيده ورقة مُجَدْوَلَة -أي: على هيئة جدول- هذه الورقة فيها أسماء النوات ومواعيدها، فأردت أن أقف وقفة مع قضية النوء لأن البعض ربما يظن أن سقوط الأمطار له علاقة بالنوء، والمعروف الآن بلفظ النَّوة.

والنوء هو: منازل القمر ومواقع النجوم، قال تعالى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ [يس:٣٩]، قال الإمام ابن كثير في تفسيره: وأما القمر فقدره منازل يطلع في أول ليلة من الشهر ضئيلًا قليل النور، ثم يزداد نورًا في الليلة الثانية، ويرتفع منزلة، ثم كلما ارتفع ازداد ضياء وإن كان مقتبسًا من الشمس حتى يكتمل نوره في الليلة الرابعة عشرة، ثم يشرع في النقص إلى آخر الشهر، حتى يصير كالعرجون القديم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: وهو أصل العذق. وقال مجاهد: كالعرجون القديم أي: العذق اليابس.

وقال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة:٧٥]، قال مجاهد: مواقع النجوم في السماء ويقال مطالعها ومشارقها. وقال قتادة: مواقعها منازلها. وقال الضحاك: يعني بذلك الأنواء التي كان أهل الجاهلية إذا أمطروا قالوا: مطرنا بنوء كذا وكذا. فكانت العرب تزعم أن هذه المنازل وهذه المواقع -وهي الأنواء- لها علاقة بسقوط الأمطار، فجاء الإسلام ليصحح هذه المفاهيم الخاطئة وينقي العقيدة من شوائب الشرك والخرافات.

لماذا خلق الله الكواكب والنجوم؟ قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾[الملك:٥]، وقال تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [النحل:١٦]، قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنما خلقت هذه النجوم لثلاث خصال: خلقها الله زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها؛ فمن تأول فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ وتكلف ما لا علم له به[1].

---

(١) رواه البخاري.

تحذير نبوي

عن أنس ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**أخافُ على أمّتي بعدي خَصلتين: تكذيبًا بالقدر، وتصديقًا بالنجوم**»(١).

وعن أبي مالك الأشعري ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**أربَعٌ في أمّتي مِن أمرِ الجاهلية لا يتركونَهن: الفخرُ بالأحسابِ، والطعنُ في الأنسابِ، والاستسقاءُ بالنجومِ، والنياحةُ**»(٢).

وعن زيد بن خالد ﷺ، قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم! قال: «**قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي، كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي، مؤمن بالكوكب**»(٣).

(١) رواه أبو يعلى، وصححه الألباني.
(٢) رواه مسلم.
(٣) متفق عليه.

الله مُنزل المطر

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورى:٢٨]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر:٢١]، فالله هو المتصرف في هذا الكون، بيده الأمر كله، بل وجعل ملكًا من ملائكته موكلًا بالقطر «المطر» وقد سأل رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام: «**على أي شيء ميكائيل؟ قال: على النبات والقطر**»[1].

[حكم من ينسب سقوط المطر إلى النوء]

والاستسقاء بالنوء ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: شرك أكبر وله صورتان؛ **الصورة الأولى**: أن يدعو الأنواء بالسقيا. كأن يقول: يا نوء كذا اسقنا، أو أغثنا، أو ما شابه ذلك. فهذا شرك أكبر في العبادة لأنه دعا

(١) رواه الطبراني وذكره ابن حجر في الفتح، والحديث حسن.

غير الله، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[يونس:١٠٦]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾[الأحقاف:٥].

والصورة الثانية: أن ينسب حصول الأمطار إلى هذه الأنواء على أنها هي الفاعلة بنفسها ولو لم يدعها، فهذا شرك في الربوبية.

القسم الثاني: شرك أصغر: وهو أن يجعل هذه الأنواء سببًا مع اعتقاده أن الله هو الخالق الفاعل. قال الإمام النووي رحمه الله: من اعتقد أن الكوكب والنجم فاعل مُدبِّر مُنشئ للمطر كما كان يعتقد أهل الجاهلية؛ فهذا يكفر والعياذ بالله.

وأما من اعتقد أن المطر من الله وفضله ورحمته وأن النوء ميقات له أو علامة، فهذا وقع في محذور أو مكروه[1].

ومن العلماء من قال: أن نسبة المطر إلى النوء تنقسم إلى ثلاثة أقسام[2]:

---

(١) انظر «شرح صحيح مسلم» للإمام النووي رحمه الله.

(٢) انظر «القول المفيد على كتاب التوحيد» للشيخ/ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله، و«تسهيل العقيدة الإسلامية» أ.د/ عبد الله بن عبد العزيز الجبرين.

١ ـ **نسبة إيجاد**: أي أن النوء هو الفاعل، وهذا شرك أكبر يخرج من الملة.

٢ ـ **نسبة سبب**: أي أن النوء هو السبب مع اعتقاده بأن الله هو الذي أنزل المطر وهذا شرك أصغر لا يخرج من الملة.

٣ ـ **نسبة وقت**: وهذه جائزة، بأن يريد أن المطر جاءنا في وقت هذا النوء أو عند هبوب هذه الرياح وهكذا، ولذلك أجاز بعض العلماء أن يقول مُطرنا في نوء كذا، وليس بنوء كذا، والله تعالى أعلم[1].

وهذه المسألة غاية في الخطورة لأنها تتعلق بالغيبيات، فالغيب المطلق لا يعلمه إلا الله، فمن الناس من يتعلق قلبه بموعد النوات وكأن المطر قطعًا سيكون في هذا الموعد.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران:١٧٩].

---

(١) وقد قال الشيخ ياسر برهامي –حفظه الله–: إن هذا النوع الثالث أقل أحواله الكراهة. قُلتُ: والأولى أن يستبدل هذا اللفظ بلفظ آخر لا إيهام فيه مثل: هذه رحمة الله، أو مُطرنا بفضل الله، وهذا هو الذي ورد الثناء على من قاله كما سبق في الحديث.

وقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن:٢٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان:٣٤].

وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«مفاتيحُ الغيبِ خمسٌ لا يعلمُهن إلا اللهُ: إن اللهَ عنده علمُ الساعةِ، وينزّلُ الغيثَ، ويعْلَمُ ما في الأرحامِ، وما تدري نفسٌ ماذا تكسِبُ غدًا، وما تدري نفسٌ بأي أرضٍ تموت»**(١).

أي: لا يعلم متى ينزل الغيث إلا الله ﷻ، تأمل نزول المطر من السماء الذي به تحيا جميع الخلائق، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء:٣٠]، فبه تجري الأنهار وتملأ العيون والآبار ويشرب الناس

---

(١) رواه البخاري.

ويزرعون وتشرب البهائم وتعيش، ويتغذى الإنسان على ذلك كله، ولو شاء الله لمنع ذلك أو جعله سببًا للهلاك كما يحدث في الفيضان وشدة الأمطار فيهلك الحرث والنسل وتغرق البلاد والعباد، فهذا الغيث لا يعلم متى ينزل إلا الله.

قال الإمام القرطبي: من جزم أن المطر سينزل غدًا فقد كفر.

قُلتُ: ولكن من توقع سقوط الأمطار ولم يجزم بذلك، وذلك عن طريق معرفة الأرصاد الجوية فلا بأس لأن هذا من العلوم التي علمها الله لعباده، ومثل توقعات ميعاد هبوب الرياح ونحو ذلك، والله تعالى أعلم[1].

فهيا أيها المسلم حافظ على توحيدك وعقيدتك، واحفظ ألفاظك حتى لا تقع في المحذور، ولا تردد كلمة النوء عند سقوط الأمطار. قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا﴾ [الفرقان:٤٨]،

---

(١) انظر رسالة «القضاء والقدر» للدكتور/ ياسر برهامي حفظه الله.

بل عند سقوط المطر أكثِرْ من الدعاء، فإنه من أوقات الإجابة. عن سهل بن سعد وابن عمر وأبي أمامة ﷺ، أن رسول الله ﷺ، قال: «**اطلُبوا استجابةَ الدعاءِ عند التقاءِ الجيوشِ، وإقامةِ الصلاةِ، ونزولِ المطرِ**»[1].

وكن على يقين بأن نزول المطر بل وتصريفه هنا وهناك ما كان إلا بأمر الله جل وعلا.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الفرقان: ٥٠]، أي أمطرنا هذه الأرض دون هذه، وسقنا السحاب يمر على الأرض ويتعداها ويتجاوزها إلى الأرض الأخرى، فيمطرها ويكفيها ويجعلها غدقًا، والتي وراءها لم ينزل فيها قطرة من ماء وله في ذلك الحجة البالغة والحكمة القاطعة. قال ابن عباس وابن مسعود ﷺ: ليس عام بأكثر مطرًا من عام، ولكن الله يصرفه كيف يشاء، ثم قرأ هذه الآية:

(١) أخرجه الشافعي في «الأم»، وقال الألباني: هذا الحديث يرتقي إلى مرتبة الحسن إن شاء الله. انظر «السلسلة الصحيحة».

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ أي: ليذكروا بإحياء الله الأرض الميتة بقدرة الله ﷻ[١].

ومن السُّنَّة أيضًا عند سقوط المطر أن تدعو بدعاء رسول الله ﷺ: «**اللهم اجعله صيبًا نافعًا هنيئًا**»[٢]، أو «**مطرنا بفضل الله ورحمته**»[٣].

فالمطر من نعم الله علينا، وعند نزوله ندعو الله بأن يكون نافعًا لنا وليس فيه أذى، فلو أمسك الله المطر لهلك الناس وماتت الأرض، لأن بعض الناس لا يرى في الشتاء إلا المطر والطين والبرق والرعد والبرد وينسى خيره، ولشدة حاجتنا إلى المطر شُرع لنا صلاة الاستسقاء -طلب سقي الماء- وطلبه من الله عند حصول الجدب وانقطاع المطر فيكون إما بصلاة مخصوصة، وهي صلاة الاستسقاء وهي ثابتة عن رسول الله ﷺ، فعن عباد بن تميم

---

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» للإمام ابن كثير رحمه الله.
(٢) رواه البخاري.
(٣) متفق عليه.

عن عمه: «أن رسول الله خرج بالناس ليستسقي فصلى بهم ركعتين جهر بالقراءة فيهما وحول رداءه ورفع يديه فدعا واستسقى واستقبل القبلة»(١). وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما: «فصلى ركعتين كما يُصلي في العيد»(٢)، وإما بالدعاء في خطبة الجمعة. قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت:٣٩]، وقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج:٥]، وعن أنس رضي الله عنه أن رجلًا دخل يوم الجمعة من باب كان وِجاهَ المنبر ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبل رسول الله قائمًا، فقال: يا رسول الله؛ هلكت المواشي وانقطعت السُبل، فادع الله يغيثنا. قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال: «**اللهم اسقنا، اللهم اسقنا**» قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا

---

(١) رواه أبو داود، وصححه الألباني.
(٢) رواه أحمد والنسائي وابن ماجه وأبو داود وغيرهم، وحسنه الألباني.

قَزَعة (أي: سحابة خفيفة) ولا شيئًا، وما بيننا وبين سَلْعٍ[1] من بيت ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس (الدرع)، -والمراد أن السحابة بدأت صغيرة الحجم- فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت. قال: والله ما رأينا الشمس ستًا، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبله قائمًا، فقال: يا رسول الله؛ هلكت الأموال وانقطعت السُبل فادع الله يمسكها، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: «**اللهم حَوَالَيْنا ولا عَلَيْنا، اللهم على الآكام** (الهضاب) **والجبال والآجام** (الحصون) **والظراب** (الروابي الصغار) **والأودية، ومنابت الشجر**» قال: فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس[2].

وعن أنس ﷺ، قال: أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطرٌ قال فحسر رسول الله ثوبه حتى أصابه من المطر فقلنا: يا رسول الله؛ لم صنعت هذا؟ قال: «**لأنه حديثُ**

---

(١) جبل بالمدينة.
(٢) متفق عليه.

عهدٍ بربِّه تعالى»[١]. قال النووي رحمه الله: معنى حسر: كشف، أي كشف بعض بدنه، ومعناه: أن المطر رحمة وهي قريبة العهد بخلق الله تعالى لها فيتبرك بها[٢].

ومن رحمة الله علينا أن شرع لنا الصلاة في البيوت والمنازل عند سقوط المطر الشديد الذي سيؤدي إلى الهلاك، وذلك المطر يكون على غير ما يعتاده الناس، ولا يقدر الإنسان على الخروج من بيته، فالأرض مُلِّئت بالطين وهناك سيول أو جليد، وهنا تكون المشقة، أما المطر الخفيف المعتاد فلا ينطبق عليه هذا الحكم، عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ كان يأمر المنادي فينادي بالصلاة: «**صَلُّوا في رحالِكم**»، في الليلة البادرة. وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما: في يوم مطير[٣].

---

(١) رواه مسلم.
(٢) انظر «شرح مسلم» للنووي رحمه الله.
(٣) متفق عليه.

مطرٌ يُذكِّر بمطر

إن هذا المطر الذي نراه يُذكر بالمطر الذي يكون بعد النفخة الأولى وبه تنبت الأجساد مرة أخرى، فسبحان الله، فكما أن المطر في الدنيا ينبت النبات، فهو ينبت كذلك الأجساد. عن أبي هريرة ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما بينَ النفختينِ أربعون»** قيل: أربعون يومًا؟ قال أبو هريرة: أَبَيْتُ. قال: أربعون شهرًا؟ قال: أَبَيْتُ. قال: أربعون سنة؟ قال: أَبَيْتُ. **«ثم ينزِلُ مِنَ السماءِ ماءٌ فيَنْبُتُونَ كما يَنْبُتُ البَقْلُ وليس من الإنسان شيءٌ إلا يبلى إلا عظم واحد وهو عَجْبُ الذَّنَبِ منه يُرَكَّبُ الخلقُ يومَ القيامةِ»**[1].

أين الطهارةُ الباطنةُ؟

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ [الفرقان:٤٨]، فماء المطر طهور يرفع الحدث ويزيل الخبث، ولكن اعلم أن الطهارة تنقسم إلى قسمين: **ظاهرة**: وهي طهارة

(١) متفق عليه.

الخبث وطهارة الحدث، **وباطنة**: وهي تطهير النفس من آثار الذنوب والمعاصي وذلك بالتوبة الصادقة من كل الذنوب والمعاصي وتطهير القلب من أقذار الشرك والشك والحسد والحقد والغل والغش والكبر والعُجب والرياء والسمعة وذلك بالإخلاص واليقين والصدق ونحو ذلك.

فكما أننا نغسل النجاسات الحسية فغسل الذنوب والمعاصي أولى، فهيا بنا نُحقق الطهارة بقسميها: الظاهرة والباطنة.

*****

الوقفة الثانية: نظرة حول الآيات الكونية.

في فصل الشتاء نتعرض لبعض الآيات الكونية، مثل الرياح والغيم والرعد والبرق، فلابد لنا من وقفة مع هذه الآيات.

رسول الله ﷺ يتفاعل مع الآيات الكونية:

عن عائشة ﵂، أن رسول الله ﷺ كان إذا رأى غيمًا أو ريحًا عُرف ذلك في وجهه، فقالت عائشة: يا رسول الله؛ أرى الناس إذا رأو الغيم فرحوا رجاء المطر، وأراك إذا رأيته عرفت في وجهك الكراهية. قال: «**يا عائشةُ وما يُؤَمِّنُني أن يكونَ فيه عذابٌ، قد عُذِّبَ قومٌ بالريحِ، وقد رأى قومٌ العذابَ، فقالوا: هذا عارِضٌ ممطِرُنا**»[1].

وعن عائشة ﵂، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا رأى مخيلة -سحابة محملة بالمطر- في السماء أقبل وأدبر ودخل وخرج وتغير وجهه، فإذا أمطرت السماء سُري

(١) متفق عليه.

عنه، فعرّفته عائشة ذلك فقال ﷺ: «**ما أدري لعله كما قال قوم:** ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾»(١).

وأخذ يومًا بيد عائشة رضي الله عنها، وأشار إلى القمر، وقال: «**يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا، فإن هذا هو الغاسق إذا وقب**»(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الشمسَ والقمرَ آيتانِ من آياتِ اللهِ لا يُخسَفَانِ لموتِ أَحَدٍ ولا لحياتهِ، فإذا رأيتُم ذلك فادعوا اللهَ وكبروا وتصدقوا وصلوا**»(٣). وفي رواية عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: خسفت الشمس فقام رسول الله ﷺ فصلى وقال: «**إذا رأيتم شيئًا من ذلك فافزعوا إلى ذكر الله ودعائه واستغفاره**».

فانظر إلى حال رسول الله ﷺ كيف كان يتفاعل مع

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أحمد، وصححه الألباني.

(٣) متفق عليه.

هبوب الرياح وظهور الغيم وظلمة الليل والكسوف والخسوف، ومن هذا المنطلق واتباعًا لسُنَّة نبينا ﷺ نقف وقفات سريعة حول بعض الآيات الكونية في فصل الشتاء.

أولاً: **هبوب الرياح:**

أيها المسلم؛ اعلم أن الرياح من آيات الله الدالة على وحدانيته وقدرته جل وعلا، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٦٤].

فما معنى ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾؟ قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي فتارة تأتي بالرحمة وتارة تأتي بالعذاب وتارة تأتي مبشرة بين يدي السحاب، وتارة تسوقه، وتارة تجمعه، وتارة تفرقه، وتارة تصرفه، ثم تأتي تارة من الجنوب وهي الشامية، وتارة تأتي من ناحية اليمين وتارة

صَبا وهي الشرقية التي تقدم وجه الكعبة، وتارة دَبورًا وهي غربية تنفذ من ناحية دبر الكعبة، وهكذا.

واعلم أن الريح جند من جنود الله يسخرها كيف يشاء، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر:٣١]، فهي مأمورة مسخرة لها عدة مهام ووظائف، ومن هذه المهام والوظائف:

الأولى: علاقتها بالأمطار:

اعلم أن الرياح تثير سحابًا فهي السبب في تسيير السحاب ونزول الأمطار: ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الروم:٤٨: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ

مَوْتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فاطر:٩]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٥٧]، ففي هذه الآيات يبين أثرًا من آثار قدرته ورحمته وذلك عندما أرسل الرياح مبشرات بالغيث، وهي التي تثيره بإذن الله، فيستبشر الخلق برحمة الله ﷻ.

الثانية: **الرياح لواقح:**

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم:

أولًا: لقد ثبت علميًا أن عملية إرسال الرياح لواقح لها علاقة مباشرة بنزول الأمطار، واستخدام حرف العطف «ف» الذي يدل على التعقيب في سرعة نزول المطر بعد إرسال الرياح لواقح، وأثبتت الدراسات العلمية أن هناك ثلاثة أنواع من التلقيح تتم في السُحب.

أ ـ تلقيح السحب الحارة بالسحب الباردة مما يزيد عملية التكاثف وبالتالي نزول المطر.

ب ـ تلقيح السحب الموجبة الشحنة بالسالبة الشحنة ويحدث تفريغ وشرر كهربائي يتكون فيكون المطر مصحوبًا بالبرق والرعد وهو صوت تمدد الهواء الناجم عن التفريغ.

جـ ـ التلقيح الثالث وهو أهم أنواع التلقيح جميعًا، وهو أن الرياح تُلقح السحاب بما ينزل بسببه المطر، إذ إن نُوَيّات التكاثف وهي النويات التي يتجمع عليها جزيئات بخار الماء لتكون نقطًا من الماء نامية داخل السحب، وهي المكونات الأولى من المطر تحملها الرياح إلى مناطق إثارة السحب، وقوام هذه النويات هو أملاح البحار، وما تذروه الرياح من سطح الأرض، والأكاسيد والأتربة كلها لازمة للإمطار وهذه فكرة المطر الصناعي، عندما تقوم بعض الطائرات برش السحب التي سبق وأن تكونت ببعض المواد، تعمل كنويات تكاثف، يتكاثف عليها المطر ويهطل، أي أن الرياح عامل أساسي في تكوين السحب وتلقيحها ونزول المطر، قُلتُ: وهناك من السُنَّة ما يدل على ذلك فعن

سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتدت الريح يقول: «اللهم لقحًا لا عقيمًا»(١). ودائمًا ما يربط القرآن بين الرياح والمطر، كما في سورة الأعراف ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٥٧]، و﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٦٤].

ثانيًا: قال ابن عباس رضي الله عنهما، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ قال: لواقح للشجر والسحاب، وهو قول الحسن وقتادة والضحاك، وذكر هذا القول الطبري والقرطبي، ولقد ثبت علميًا أن التلقيح الريحي ضروري في عملية الإخصاب وخاصة للنباتات ذات الأزهار الفاقدة

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد»، وابن السني، والحاكم وحسنه الألباني.

لجاذبية الحشرات، ويقول علماء النبات أن التلقيح عملية أساسية للإخصاب وتكوين البذور، حيث تنتقل حبيبات اللقاح (Polling Grain) من العناصر الذكرية للزهرة (Anthers) إلى العناصر الأنثوية فيها (Stigmas) حيث يتم الإخصاب، والتلقيح قد يكون بين العناصر الذكرية والأنثوية للزهرة الواحدة أو النبتة الواحدة ويسمى عند ذلك «التلقيح الذاتي» وقد يكون بين نبتتين منفصلتين ويسمى حينئذ «التلقيح المختلط»، وتختلف طرق انتقال حبيبات اللقاح باختلاف نوع النبات، فهناك فضلًا عن التلقيح بواسطة الإنسان كما في النخل مثلًا، ثلاث طرق أخرى وهي: - التلقيح بواسطة الحيوانات كالحشرات والطيور. - التلقيح بواسطة المياه. - التلقيح بواسطة الرياح.

وتذكر الموسوعة العالمية أن للرياح دورًا هامًا في عملية نقل اللقاح في النباتات التي تفقد الأزهار ذات الرائحة والرحيق والألوان الجذابة للحشرات حيث تقوم الرياح بنشر اللقاح على مسافات واسعة، فعلى سبيل المثال: تنشر الرياح لقاح الصنوبر (Pine) على مسافة قد تصل إلى ٨٠٠ كيلو متر قبل أن يلتقي اللقاح بالعناصر الأنثوية ويتم التلقيح.

وجاء في الموسوعة البريطانية الجديدة: أنه لتسهيل التعرض للريح تزهر الزهرة غالبًا قبل نمو الأوراق في الربيع أو قد تنمو الزهرة في أعلى الشجرة أو النبتة، ويغلب أن تكون المياسم طويلة ومقوسة لمنح مساحة أوسع لالتقاط اللقاح، ووجه الإعجاز في الآية الكريمة هو إشارتها إلى أن الرياح تقوم بعملية التلقيح الريحي للنباتات أو التلقيح للسحب، وصدق الله إذ يقول: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت:٥٣][1]. قال تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾ [الحجر:٢٢]، فهذه الرياح تلقح السحاب فتدر ماء، وتلقح الشجر فتفتح عن أوراقها وأكمامها.

---

(١) انظر موسوعة الأعجاز العلمي في القرآن الكريم والسُّنَّة. د/ زغلول النجار، وموقع مكنون للإعجاز العلمي.

http://www.55a.net/pirasiarabici?page=show-det&id=82
http://www.maknoon.com/e3jaz/new-page-27htm

الثالثة: الرياح والفُلْك:

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[الروم:٤٦]، أي سير الله السفن في البحر بالريح من بلد إلى بلد آخر، ومن قطر إلى قطر، لتبتغوا من فضله ولعلم تشكرون، وسبحان الله، فالرياح سببٌ أيضًا في غرق السفن، لو أراد الله ذلك، فهو يسخرها كيف يشاء قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[يونس: ٢٢، ٢٣]، وقال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ

عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴾.

[الإسراء: ٦٧ : ٦٩].

الرابعة: سخرها ربنا لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ:

قال تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾[سبأ:١٢]، وقال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ [ص:٣٦] وقال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾ [الأنبياء:٨١]، فلقد سخر الله الريح لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ. قال الحسن البصري: كان يغدو على بساطه من دمشق فينزل بإصطخر يتغذى بها، ويذهب رائحًا من إصطخر فيبيت بكابل، وبين دمشق وإصطخر شهر كامل للمسرع، وبين إصطخر وكابل شهر كامل للمسرع، فكان يذهب عن طريق الريح إلى حيث أراد من البلاد[1].

(١) انظر «تفسير ابن كثير» سورة سبأ.

الخامسة: **أهلك الله بها من أراد من الكافرين كعاد قوم هود عليه السلام:**

بعثه الله إلى عاد، وكانوا يسكنون بالأحقاف، وكانوا قومًا كافرين، يعبدون الأصنام من دون الله، فدعاهم هود إلى توحيد الله، فكذبوه وخالفوه فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، كانت بيوتهم شديدة في البناء، وقيل كانوا يسكنون الخيام ويبنون أبنية عظيمة على الأماكن المرتفعة، كالقصور ونحوها، فأمسك الله عنهم المطر حتى أجهدهم ذلك، وفجأة أرسل الله لهم سحابة من السماء ففرحوا واستبشروا بذلك وظنوا أن ذلك مطر وإذ به عذاب ريح ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾، فكانت الريح تجيء إلى أحدهم فتحمله فترفعه في الهواء، ثم تنكسه على أم رأسه فتشدخه فيبقى جثة بلا رأس، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى

وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾[فصلت: ١٥، ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[الأحقاف: ٢١ : ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴾[الحاقة: ٦ : ٨].

وكذلك رد الله بها الأحزاب الذين تجمعوا حول المدينة المنورة لقتال المسلمين وكان عددهم يبلغ عشرة آلاف مقاتل، أي يزيد عدد الجيش على جميع ما في المدينة من الشيوخ والنساء والصبيان. كما قال تعالى:

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب:٢٥].

تحالفت كل قوى الشر من اليهود ومشركي قريش وغطفان وقبائل العرب على المسلمين، وأخذ المسلمون بالأسباب وشرعوا في حفر الخندق وكان المسلمون يدعون الله تعالى: «**اللهم استُرْ عوراتِنا وآمِنْ روعاتنا**» وها هو رسول الله ﷺ يلجأ إلى ربه ويدعوه: «**اللهم مُنْزِلَ الكتابِ مُجْرِيَ السحابِ سريعَ الحسابِ اهزمِ الأحزابَ، اللهم اهزِمْهم وزلزِلْهم**»[(١)].

وقد أجاب الله دعاء رسوله ﷺ والمؤمنين فدبت الفرقة في صفوف المشركين وسري بينهم التخاذل وأرسل الله عليهم جندًا من الريح فجعلت تقوض خيامهم، ولا تدع قِدرًا إلا كفأتها ولا وتدًا إلا قلعته، ففروا هاربين إلى أوطانهم. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب:٩].

---

(١) رواه البخاري.

بل وفي واقعنا المعاصر ومنذ سنوات قليلة نقلت إلينا الأخبار أن الرياح هاجت في أمريكا فأخذت تحمل السيارات فوق الطابق الثالث، بل وفي حرب العراق توقف الطيران عدة أيام أيضًا بسبب الرياح، فلقد هاجت الريح على أرض الكويت فشلّت حركة أحدث الطائرات في العالم، لماذا؟ لأن الأتربة والحبيبات الرملية الدقيقة التي حملتها الريح دخلت أماكن دقيقة وحساسة في أجهزة هذه الطائرات، وصدق ربي إذ يقول: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

السادسة: **الريح تقبض أرواح المؤمنين في آخر الزمان:**

عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن اللهَ يبعثُ ريحًا من اليَمن ألْيَنَ من الحرير، فلا تَدَعُ أحدًا في قلبه مثقالُ ذرةٍ من إيمانٍ إلا قبضته**»[1]. وفي رواية: «**ويبقى شرارُ الناسِ يتهارجون فيها تهارُجَ الحُمُر فعليهم تقومُ الساعةُ**».

(١) متفق عليه.

تحذير نبوي: «لا تسبوا الريح»

عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تسبوا الريحَ فإنها مِنَ رَوْحِ الله**[١]**، تأتي بالرحمة والعذاب، ولكنْ سَلُوا اللهَ من خيرِها وتعوّذوا باللهِ مِن شرها**»[٢].

وأخيرًا: ما تقول أيها المسلم عن هبوب الرياح:

وعن أُبي بن كعب ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا، اللهم إنا نسألُك من خيرِ هذه الريحِ وخيرِ ما فيها وخيرِ ما أُمِرَتْ به، ونعوذُ بك مِن شر هذه الريحِ وشرِ ما فيها وشرِ ما أُمِرَتْ به**»[٣].

---

(١) روح الله أي: رحمته وفرجه وتنفيسه.
(٢) رواه ابن ماجه، وصححه الألباني.
(٣) رواه الترمذي وصححه الألباني.

ثانيًا: الرعد والبرق:

ومن الآيات الكونية التي نتعرض لها أيضًا في فصل الشتاء، الرعد والبرق، فنحن نسمع صوت الرعد الشديد الذي يُرْجِف القلب، ويصاحبه هذا الضوء الشديد الخاطف وهو البرق، ونشعر ساعتها بالخطر وكأن السماء ستنطبق على الأرض، وساعتها تشهد معنى القدرة لله ﷻ، وأنه لو أراد أن يذهب بهذا الكون الآن لفعل. وتستشعر وتشاهد آثار ربوبيته تعالى، فهو خالق الكون المتصرف فيه كيفما شاء، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[الروم:٢٤]، فمن آياته الدالة على عظمته هذا البرق الذي نراه، تراه تارة فتخاف مما يحدث بعده من أمطار مزعجة كالسيول الشديدة، أو صواعق متلفة والعياذ بالله، وتارة أخرى ترجو وميضه وما يأتي بعده من المطر الذي نحتاج إليه، وقد عرف أن الرعد يتولد من احتكاك السحب بعضها ببعض بما يتولد معه شحنات كهربية يمكن أن تهلك لو زادت

واشتدت، فسبحان من سخر السحاب بين السماء والأرض. وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾[الرعد:١٢، ١٣]، يخبر تعالى أنه هو الذي يسخر البرق، وهو النور اللامع ساطعًا للمقيم يرجو بركته ومنفعته ويطمع في رزق الله، ثم يبين الله تعالى أن الرعد يسبح بحمده، كقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[الإسراء:٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الرعد:١٣]، بل وقد ثبت أن رسول الله ﷺ قال: «**إن اللهَ يُنشئُ السحابَ فَينْطِقُ أحسنَ النُطْق، ويَضحَكُ أحسنَ الضحِك**»[1].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: والمراد والله أعلم أن نُطقَها الرعدُ، وضَحِكَها البرقُ.

---

(١) رواه أحمد، وصححه الألباني.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ كان إذا سمع صوت الرعد والصواعق قال: «**اللهم لا تَقْتُلْنا بغضَبِك، ولا تُهلكنا بَعذابِك، وعافِنا قبلَ ذلك**»(١).

وكان عبد الله بن الزبير إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال: سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته، ويقول: إن هذا لوعيد شديد لأهل الأرض(٢).

فلابد من التفكر والتدبر لهذه الآيات الكونية التي نراها في فصل الشتاء، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

---

(١) رواه أحمد، والترمذي، والبيهقي، والنسائي في «اليوم والليلة»، والحاكم في مستدركه، وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي، وقال ابن الجوزي في «تصحيح المصابيح»: إسناده جيد وله طرق، وأورده البخاري في «الأدب المفرد»، وضعفه الألباني في تعليقه على «الكلم الطيب»

(٢) رواه مالك في «الموطأ»، والبخاري في «الأدب المفرد»، ووهو صحيح انظر «الأذكار» و«روضة المحدثين».

الوقفة الثالثة: هذا نفس الشتاء:

إن حر الصيف وارتفاع حرارته وكثرة العرق كل ذلك يذكرنا بحر النار والعياذ بالله، وكذلك برد الشتاء والشعور بالبرودة وانخفاض درجة الحرارة كذلك يذكرنا بزمهرير جهنم والعياذ بالله.

فالمسلم دائمًا يعيش مع أحوال الآخرة فلا يغفل عنها ولا ينساها. قال أحد السلف: ما رأى العارفون شيئًا من الدنيا إلا تذكروا ما وعد الله به من جنسه في الآخرة من كل خير وعافية.

عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**اشْتَكَتِ النارُ إلى ربّها فقالت: يا ربِّ أَكَلَ بعضي بعضًا، فأذِنَ لها بنَفَسَيْنِ: نَفَسٍ في الشتاءِ ونَفَسٍ في الصيفِ، فأشدُّ ما تجدُون مِنَ الحَرِّ مِن سَمُوم جهنَّمَ، وأشدُّ ما تجِدون من البردِ من زمهريرِ جهنمَ**»(١).

وقد جعل الله الجو في الجنة لعباده المؤمنين معتدلًا

(١) متفق عليه.

فلا يشعرون بالحر ولا يشعرون بالبرد، قال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان:١٣]، وقيل: إن الجو في الجنة مثل الجو الذي يكون قبل طلوع الفجر، قال الضحاك والسدي وأبو حرزة في قوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة:٣٠]، لا ينقطع ليس فيها حر ولا شمس، مثل قبل طلوع الفجر، وقال ابن مسعود كما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وقال قتادة: علم الله أن شدة الحر تؤذي وشدة البرد تؤذي فوقاهم أذاهما جميعًا.

فهذا البرد الشديد في فصل الشتاء يذكرنا بزمهرير جهنم والعياذ بالله، فإن أهل النار يعذبون بهذا الزمهرير، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: يستغيث أهل النار من الحر فيغاثون بريح باردة يَصْدَعُ العظامَ بَرْدُها، فيسألون الحر، وعن مجاهد قال: يَهربون إلى الزمهرير، فإذا وقعوا فيه حَطَم عظامَهم حتى يُسْمَعُ لها نقيض[1]، وعن كعب قال: إن في جهنم بردًا هو الزمهرير يسقط اللحم حتى يستغيثوا بحر جهنم.

---

(١) نقيض: أي صوت، والله أعلم.

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا﴾ [النبأ:٢٤-٢٦]، وقال تعالى: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ [ص:٥٧]، قال: الغساق الزمهرير البارد الذي يُحرِق من برده، وقال مجاهد: هو الذي لا يستطيعون أن يذوقوه مِن بَرده، وقيل: البارد المنتن، وقال الربيع بن أنس: فأما الحميم فهو الحار الذي قد انتهى حره وحُمُوُّه، والغساق هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم وجروحهم فهو بارد لا يستطاع من برده ولا يواجه من نتنه، والعياذ بالله[1].

وقد امتن الله على عباده بأن خلق لهم من أصواف بهيمة الأنعام وأوبارها وأشعارها ما فيه دفء لهم، قال تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل:٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [النحل:٨٠] فهذه نعمة من نعم الله علينا تستحق الشكر.

---

(١) انظر «تفسير ابن كثير»، وكتاب «لطائف المعارف» لابن رجب الحنبلي.

ويُروَى أن عمر بن الخطاب ﷺ، كان يكتب إلى أهل الشام لما فُتحت في زمنه يوصيهم بأن يتأهبوا لفصل الشتاء بالصوف والخفاف والجوارب؛ لأنه كان يخشى على من بها من الصحابة وغيرهم ممن لم يكن له عهد بالبرد أن يتأذى ببرد الشام، وذلك من تمام نصيحته وحسن خلقه وشفقته وحيطته لرعيته ﷺ. وعن صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر قال: كان عمر بن الخطاب ﷺ، إذا حضر الشتاء تعاهدهم وكتب لهم بالوصية: إن الشتاء قد حضر، وهو عدو، فتأهبوا له أهبته من الصوف والخفاف والجوارب، واتخذوا الصوف شعارًا ودثارًا، فإن البرد عدو سريعٌ دخولُه بعيدٌ خروجُه[1].

وكما نستعد نحن أيضًا لفصل الشتاء وما به من أمطار وبرد باللباس وربما بأجهزة الدفء «الدفاءات» ونتأهب لمواجهة فصل الشتاء فعلينا أن نستعد لمواجهة برد النار أعاذنا الله منها، فإن برد الدنيا لا يقارن بزمهرير النار. والله المستعان.

---

(١) انظر «لطائف المعارف» لابن رجب الحنبلي رحمه الله.

الوقفة الرابعة: الشتاء ربيع المؤمن:

إن فصل الشتاء من المواسم الفاضلة لما فيه من أنواع الطاعات والقربات التي يتقرب بها العبد إلى الله تبارك وتعالى، ففيه نفحات يُصيب الله بها من يشاء من عباده بفضله ورحمته، فالسعيد من اغتنم مواسم الشهور والأيام والساعات وتقرب فيها إلى مولاه.

أيها المسلم: اطلب الخير دهرك، وتعرض لنفحات رحمة ربك.

قال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: ما من يوم إلا ويقول: ابن آدم قد دخلْتُ عليكَ اليوم ولن أرجعَ إليك بعد اليوم، فانظر ماذا تعمل فيّ.

وقال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي بلسان الحال: ابن آدم؛ أنا خلْقٌ جديد، على عملك شهيد، اغتنمني فإني لن أعود إلى يوم القيامة.
وعنه أيضًا: يا بن آدم اليومُ ضيفُك، والضيفُ مرتحِل يحْمَدُك أو يذُمُّك.

وعن بكر المزني قال: ما من يوم أخرجه الله تعالى إلى أهل الدنيا إلا ينادي: ابن آدم؛ اغتنمني لعله لا يوم لك بعدي، ولا ليلة إلا تنادي: ابن آدم؛ لعله لا ليلة لك بعدي.

واعلم أن اليوم سيمضي وينتهي ولا يبقى إلا العمل، اليوم سيمر بما فيه من خير وشر، من طاعة ومعصية، أما العمل فيختم عليه.

عن عقبة بن عامر ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: **«ليس من عمَلٍ يومٍ إلا يُختَمُ عليه، فإذا مرِضَ المؤمنُ قالتِ الملائكةُ: يا ربَّنا فلانٌ قد حَبَسْتَه فيقول الله: اختموا له على مثلِ عملِه حتى يبرأَ أو يموت»**(١).

وعن عبد الله بن عباس ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: **«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»**(٢).

وفي فصل الشتاء تزداد الفرص وطرق الخير أمام

---

(١) رواه أحمد، والحاكم، والطبراني، وابن أبي الدنيا، وصححه الألباني.
(٢) رواه البخاري.

المسلم ليحقق عبوديته لله تعالى، روي عن أبي سعيد الخدري ﷺ، مرفوعًا: «**الشتاءُ ربيعُ المؤمنِ**»(١).

وإنما كان الشتاء ربيع المؤمن لأنه يرتع فيه في بساتين الطاعات، ويسرح في ميادين العبادات، ومن هذه العبادات:

أولاً: الصيام:

عن أنس ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**الصيامُ في الشتاءِ الغنيمةُ الباردةُ**»(٢).

وكان أبو هريرة ﷺ، يقول: ألا أدلُّكم على الغنيمة البادرة؟ قالوا: بلى، فيقول: الصيام في الشتاء. ومعنى كوْنها غنيمةً باردة أنها غنيمة حصلت بغير قتال ولا تعب ولا مشقة، فصاحبها يحوز هذه الغنيمة بغير كلفة، وذلك لأن نهار الشتاء قصير فلا يشعر بمشقة من جوع أو عطش، ولذلك يصلح دين المؤمن في الشتاء بما يسّر الله فيه من الطاعات.

---

(١) رواه أحمد، وأبو يعلى، والبيهقي، وقال الهيثمي: إسناده حسن. وضعفه الألباني.
(٢) رواه أحمد، والترمذي، والبيهقي، وابن أبي الدنيا، والطبراني، وحسنه الألباني.

عن الحسن قال: نعم زمان المؤمن الشتاء، ليلُه طويل فيقومه، ونهارُه قصير فيصومه. وعن ابن مسعود ﷺ، قال: مرحبًا بالشتاء، تنزل فيه البركة، ويطول في الليل للقيام، ويقصر فيه النهار للصيام. وعن عبيد بن عمير أنه كان إذا جاء الشتاء قال: يا أهل القرآن، طال ليلكم لقراءتكم فاقرؤوا، وقصر النهار لصيامكم فصوموا.

واعلم أن الصيام من أفضل الطاعات وأعظمها أجرًا فاغتنم فصل الشتاء في تحصيل هذا الأجر، عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال اللهُ ﷻ، كلُّ عمَلِ ابنِ آدمَ له إلا الصومَ فإنه لي وأنا أجزي به، والصيامُ جُنّة، فإذا كان يومُ صومِ أحدكم فلا يرفُث ولا يَصخَب، فإن سابّه أحدٌ أو قاتَلَه فليقُلْ إني صائم إني صائم، والذي نفْسُ محمدٍ بيَدِه لخُلُوفُ فمِ الصائمِ أطْيبُ عندَ اللهِ من ريح المسك، وللصائم فرحتانِ يفرحُهما إذا أفطرَ فرِح بفِطره، وإذا لقَي ربَّه فرِحَ بصومِه**»(١).

وفي رواية لمسلم: «**كلُّ عملِ ابنِ آدمَ له إلا الصومَ**

---

(١) متفق عليه.

فإنه لي وأنا أجزي به، يَدَعُ شهواته وطعامَه من أجلي»، وفي رواية أخرى للترمذي: «**والصومُ لي وأنا أجزي به، والصوم جُنّةٌ من النارِ**».

فانظر إلى هذا الفضل والثواب العظيم الذي لا يعرف قدره إلا الله تعالى، فإن الأعمال كلها لله، ولكن نَسَبَ اللهُ الصيامَ له لشرف الصيام وقدرِه عند الله، ولأن ثوابه لا يعلمه إلا الله، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**كلُّ عملِ ابنِ أدمَ يُضاعفُ الحسنةُ بعشرِ أمثالِها إلى سبعمائةِ ضِعف، قال الله -عز وجل- إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يَدَعُ شهوتَه وطعامَه مِن أجلي، للصائمِ فرحتانِ فرحةٌ عند فطرِه وفرحةٌ عند لقاءِ ربِّه، ولَخُلُوفُ فيه أطيبُ عند اللهِ مِن ريحِ المسك**»(١). واعلم أن الشهيد يبعث يوم القيامة من قبره وجرحه يثعب دمًا، اللون لون الدم والريح ريح المسك، ولكن انظر إلى رائحة خلوف فم الصائم، هي أطيب عند الله من ريح المسك.

عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**الصيام**

(١) متفق عليه.

جُنة وحصن حصين من النار»[١].

وعن أبي أُمامة ﷺ، قال: قلت: يا رسول الله؛ مُرني بعمل. قال: «**عليك بالصوم، فإنه لا عدل له**»، قلت: يا رسول الله؛ مُرني بعمل. قال: «**عليك بالصوم فإنه لا عدل له**»، قال: قلت: يا رسول الله؛ مرني بعمل. قال: «**عليك بالصوم فإنه لا مِثل له**»[٢].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما مِن عبدٍ يصومُ يومًا في سبيل اللهِ تعالى إلا باعَدَ اللهُ بذلك اليوم وجهَه عن النارِ سبعين خريفًا**»[٣].

ثانيًا: **قيام الليل:**

قال يحيى بن معاذ: الليل طويل فلا تقصِّره بمنامك، والإسلام نقي فلا تدنسْه بآثامِك.

بخلاف ليل الصيف فإنه لقصره وحره يغلب فيه

(١) رواه أحمد، والبيهقي، وذكره المنذري في «الترغيب» وإسناده حسن.
(٢) رواه النسائي، وابن خزيمة، والحاكم، وصححه الألباني.
(٣) متفق عليه.

النوم، فلا تكاد تأخذ النفس حظها بدون نومه كله، فيحتاج القيام فيه إلى مجاهدة، أما ليل الشتاء فلطوله يمكن أن تأخذ النفس حظها من النوم، ثم تقوم بعد ذلك إلى الصلاة، فيقرأ المصلي ورده كله من القرآن وقد أخذت نفسه حظها من النوم فيجمع الإنسان بين مصلحة دينه وراحة بدنه، فلذلك بكى معاذ بن جبل عند موته وقال: إنما أبكي على ظمأ الهواجر وقيام ليل الشتاء ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر.

ولكن ربما يشق القيام على النفوس لأن النفس تتألم بالقيام من الفراش في شدة البرد ومن إسباغ الوضوء في شدة البرد.

عن عقبة بن عامر ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**رجُلان مِنْ أمتي يقومُ أحدُهما منَ الليل فيعالِجُ نفسَه إلى الطَّهور، وعليه عُقَدٌ فيتوضَّأُ، فإذا وضَّأَ يديه انحلّت عُقدةٌ، وإذا وضّأ وجهَه انحلت عقدة، وإذا وضّأ رجليه انحلت عقدة، فيقول الرب ﷻ للذين وراء الحجاب: انظروا إلى عبدي هذا يعالج نفسه، ما سألني عبدي**

هذا فهو له»[1]. وعن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: ألا إن الله يضحك إلى رجلين: رجل قام في ليلة بادرة من فراشه ولحافه ودثاره فتوضأ ثم قام إلى الصلاة، فيقول الله -عز وجل- لملائكته: ما حمل عبدي على ما صنع؟ فيقولون: رجاء ما عندك وشفقة مما عندك. فيقول الله: فإني قد أعطيته ما رجا وأمنته مما يخاف[2].

وعن سلمان الفارسي ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**عليكم بقيامِ الليلِ، فإنه دأْبُ الصالحين قبلَكم، ومقرَبةٌ لكم إلى ربِّكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم، ومطردة للداء عن الجسد**»[3].

وقيام الليل كان دأب النبي ﷺ، فعن المغيرة بن شعبة ﷺ قال: قام النبي ﷺ حتى تورمت قدماه، فقيل له: قد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**»[4].

---

(١) رواه ابن حبان، وأحمد، والطبراني، وقال الهيثمي: له سندان رجال أحدهما ثقات.
(٢) رواه الطبراني في الكبير، وقال الهيثمي: إسناده حسن.
(٣) رواه الطبراني، والترمذي، وصححه الألباني.
(٤) متفق عليه.

واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل

وإذا تدبرت آيات القرآن الكريم وجدت أن الله تعالى ذكر أن من صفات عباد الله المؤمنين أنهم يقومون الليل، قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾

[الفرقان:٦٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[الذاريات:١٥ : ١٨].

قال ابن عباس في قوله ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾: لم تكن تمضي عليهم ليلة إلا يأخذون منها ولو شيئًا.

وعن مطرف بن عبد الله قال: قل ليلة لا تأتي عليهم إلا يصلون فيها لله ﷻ إما من أولها، أو من أوسطها. وقال مجاهد: قل ما يرقدون ليلة حتى الصباح لا يتهجدون.

وقال الحسن البصري: كابدوا قيام الليل فلا ينامون من الليل إلا أقله.

وقال الزهري والحسن: كانوا كثيرًا من الليل ما يصلون.

وقال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر:٩] قال العلامة السعدي رحمه الله في تفسيره: هذه مقابلة بين العامل بطاعة الله وغيره، وبين العالم والجاهل، وأن هذا من الأمور التي تقرر في العقول تبيانها، وعلم علمًا يقينًا تفاوتها، فليس المعرض عن طاعة ربه، المتبع لهواه، كمن هو قانت: أي مطيع لله بأفضل العبادات وهي الصلاة، وأفضل الأوقات وهي أوقات الليل.

ولما هاجر رسول الله إلى المدينة المنورة كان يحث على قيام الليل وأنه طريق إلى الجنة، فعن عبد الله بن سلام ﷺ، قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه، فكنت فيمن انجفل فلما رأيت وجهه ﷺ عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول ما سمعته ﷺ يقول: «**يا أيها الناس، أطعموا الطعام، وصلوا**

الأرحامَ، وأفْشوا السلامَ، وصَلُّوا بالليلِ والناسُ نيام، تدخلوا الجنةَ بسلام»[١].

وأرشد رسول الله ﷺ أمته إلى أن قيام الليل يجلب لصاحبه منازل عالية وغُرفًا راقية في الجنة، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة غُرفًا يُرى ظاهرها من باطنها**» فقال أبو موسى الأشعري: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لمن ألان الكلام، وأطعم الطعام، وبات لله قائمًا والناس نيام**»[٢].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه، أن رسول الله قال: «**أتاني جبريلُ فقال: يا محمدُ، عِشْ ما شئتَ فإنك ميّت، وأَحببْ مَن شئت فإنك مفارقُه، واعمَلْ ما شئتَ فإنك مجْزِيٌّ به، واعلمْ أن شرفَ المؤمنِ قيامُه بالليل، وعزَّه استغناؤُه عنِ الناسِ**»[٣].

---

(١) رواه الترمذي، وابن ماجه، والحاكم، وصححه الألباني.
(٢) رواه الطبراني، والحاكم، وحسنه الألباني.
(٣) رواه الطبراني، وأبو نعيم، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وقال المنذري في «الترغيب»: إسناده حسن.

قال الحسن: أفضل العبادة الصلاة في جوف الليل.
وقال البخاري «باب فضل قيام الليل» ثم أورد بسنده عن عبد الله بن عمر قال: كان الرجل في حياة النبي ﷺ إذا رأى رؤيا قصها على رسول الله، فتمنيت أن أرى رؤيا فأقصها على رسول الله، وكنت غلامًا شابًا وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله، فرأيتُ في النوم كأن مَلكَين أخذاني فذَهَبَا بي إلى النار فإذا هي مطويةٌ كطيِّ البئر وإذا لها قَرْنَان، وإذا فيها أناسٌ قد عرفتُهُم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، قال: فَلَقِيَنا ملَكٌ آخَرُ فقال لي: لم تُرَعْ. فقصصْتُها على حفصة فقصتها حفصة على رسول الله فقال: «**نِعْمَ الرجلُ عبدُ الله لو كان يُصلّي من الليل**» فكان لا ينام من الليل إلا قليلًا(١).

وعن علي بن أبي طالب ﷺ، أخبر أن رسول الله طرقه وفاطمة بنت النبي ﷺ ليلة، فقال: «**ألا تصلّيان؟**» فقلت: يا رسول الله؛ أنفُسنا بيدِ الله فإذا شاء أن يبعثَنا

(١) رواه البخاري.

بعثَنا، فانصرف حين قلتُ ذلك ولم يرجع إليَّ شيئًا، ثم سمعته وهو مولٍّ يضرب فخِذه ويقول: «﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾»(١).

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: صليت مع النبي ليلة، فلم يزل قائمًا حتى هممت بأمر سوء، قلنا: وما هممت؟ قال: هممت أن أقعد وأذر النبي(٢). وعن حذيفة ﷺ، أنه صلى مع النبي ﷺ ليلة فقرأ البقرة وآل عمران والنساء في ركعة، وكان إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، أو سؤال سأل، أو تعوّذ تعوّذ، ثم ركع نحوًا ما قام، ثم قام نحوًا مما ركع، ثم سجد نحوًا مما قام(٣).

فانظر إلى حال رسول الله كيف كان يقوم الليل ويرغّب فيه ويحث عليه، وعن أم سلمة أن رسول الله استيقظ ليلة فقال: «**سبحان الله، ماذا أُنزلَ الليلةَ من الفتنةِ؟ ماذا أُنزلَ منَ الخزائنِ؟ مَن يُوقِظُ صواحبَ**

(١) متفق عليه.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه مسلم.

الحُجُراتِ -أي نساءه أمهات المؤمنين- **حتى يصلِّين يا رُبَّ كاسيةً في الدنيا عاريةٌ في الآخرةِ**»[١].

الأسباب التي بها يتيسر قيــام الليــل:

اعلم أن قيام الليل عسير على الخلق إلا من وفقه الله -عز وجل- للقيام، والأسباب الميسرة له الظاهرة والباطنة سبعة[٢]:

فأما الظاهرة فأربعة: **أولاً**: أن لا يُكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم، كما قال بعضهم: لا تأكلوا كثيرًا فتشربوا كثيرًا فترقدوا كثيرًا فتخسروا كثيرًا.

الثاني: أن لا يتعب نفسه بالنهار في الأعمال التي تعيا بها الجوارح وتضعف الأعصاب، فإن ذلك أيضًا مجلبة للنوم.

الثالث: أن لا يترك القيلولة بالنهار للاستعانة بها على قيام الليل.

---

(١) رواه الترمذي، وصححه الألباني. ومعنى كاسية في الدنيا: أي متنعمة، وعارية في الآخرة أي: خالية من الحسنات.

(٢) انظر «البحر الرائق» للدكتور/ أحمد فريد حفظه الله.

الرابع: أن لا يُكثر من الأوزار بالنهار فإن ذلك مما يُقسي القلب ويحول بينه وبين أسباب الرحمة. والملوك لا يسمحون للخلوة بهم ومناجاتهم إلا أهل طاعتهم ووِدادهم والإخلاص لهم، قالوا لابن مسعود: لا نستطيع قيام الليل، فقال: أبعدتكم الذنوب. وقال رجل للحسن البصري: لا أستطيع قيام الليل، فصف لي دواء. فقال: لا تعصه بالنهار وهو يُقيمك بين يديه بالليل. وقال الثوري: حُرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أصبته. وقال الحسن البصري: ما تَرَكَ أحد قيام الليل إلا بذنب أذنبه، فتفقدوا أنفسكم عند كل ليلة عند الغروب وتوبوا إلى ربكم لتقوموا الليل.

أما الأسباب الباطنة: **فالأول**: سلامة القلب عن البدَع، والحقد على المسلمين وعن فضول هموم الدنيا.

الثاني: وجود الخوف في القلب مع قصر الأمل، فإن العبد إذا تفكر في أهوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه، قال عبد الله بن رواحة: إن عبد الله إذا ذكرت الجنة طال شوقه، وإذا ذكرت النار طار نومه.

الثالث: أن يتعرف على فضل قيام الليل في القرآن والسُنَّة حتى يتشوق إلى ثوابه والرغبة في درجات الجنة.

قال ابن المبارك رحمه الله:

إذا ما الليلُ أظلمَ كابدُوهُ فيُسْفِرُ عنهمُ وهُمُ رُكوعُ
أطار الخوفُ نومَهُمُ فقاموا وأهلُ الأمن في الدنيا هُجُوعُ

وقال بعضهم:

مَنَع القرآن بوعْدِه ووعيده مُقَلَ العُيُونِ، فليلها لا تهجعُ
فَهِمَوا عن الملِكِ الجليلِ كلاَمه فَهْمًا تَذِلُّ له الرقابُ وتَخْضَعُ

يقول أبو سليمان: أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليلُ ما أحببت البقاء في الدنيا. وكان ابن مسعود إذا هدأت العيون قام فيُسْمَعُ له دويٌّ كدوي النحل حتى يصبح، وكان عامر بن عبد الله إذا جاء الليل قال: أذهب حرُّ النار النومَ. فما ينام حتى يصبح، وكان صفوان بن سليم قد تعقدت ساقاه من طول القيام، وبلغ من الاجتهاد ما لو قيل له: القيامة غدًا.

ما وجد متزيدًا، وقال ابن المنكدر: ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث: قيام الليل، ولقاء الإخوان، وصلاة الجماعة.

يقول الفضيل بن عياض: إذا غربت الشمس فرحْتُ بالظلام حتى أخلو بربي ﷻ. وهذا هو أبو مسلم الخولاني كان كثير القيام بالليل، وكان يقول لنفسه: قومي فوالله لأزْحَفَنَّ بكِ زحفًا حتى يكونَ الكلَلُ منكِ لا مني. وكان يضع عصاه بجواره، فإذا أحس أن قدميه لا تقويان على حمله ضربهما بالعصا وقال: أنتما أحق بالضرب من دابتي، أيظن أصحاب محمد ﷺ أنهم لم يخلفوا بعدهم رجالًا، والله لأزاحمنّهم على الحوض يوم القيامة. وقال حسن البنا: دقائق الليل غالية، فلا تُرخِصوها بالنوم. وكانت امرأة مسروق بن عبد الرحمن رحمهما الله، تقول: والله ما كان مسروق يصبح من ليلة من الليالي إلا وساقاه منتفختان من طول القيام، وكنت أجلس خلفه فأبكي رحمة له، وكان رحمه الله إذا طال عليه الليل وتعب؛ صلَّى جالسًا ولا يترك الصلاة وكان إذا فرغ من صلاته يزحف كما يزحف البعير من الضَّعف[1].

(١) انظر «المختار للحديث في شهر رمضان» و«رهبان الليل».

هكذا كان حال السلف، هكذا كان قيامهم، هكذا كانت عبادتهم لربهم، هكذا كانوا يغتنمون الليل في التذلل والخضوع لربهم تبارك وتعالى. فهيا بنا نعيش ليل الشتاء في إصلاح القلوب ومداواة الأبدان بقيام الليل.

عن وهب بن الورد قال: بلغنا أن إبليس تبدّى ليحيى بن زكريا، فقال له: إني أريد أن أنصحك. قال: كذبتَ، أنت لا تنصحني، ولكن أخبرني عن بني آدم. قال: هم عندنا على ثلاثة أصناف: أما صنف منهم فهم أشد الأصناف علينا، نقبل عليه حتى نفتنه ونستمكن منه، ثم يفزع إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركنا منه، ثم نعود له فيعود، فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا، وأما الصنف الآخر فهم في أيدينا بمنزلة الأكرَّة -جمع كرة- في أيدي صبيانكم، نتلقفهم كيف شئنا، قد كَفَوْنـــا أنفسهم، وأما الصنف الآخر فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شيء، فقال له يحيى: هل قدرت مني على شيء؟ قال: لا إلا مرة واحدة، فإنك قدَّمت طعامًا تأكله فلم أزل أُشهّيه إليك

حتى أكلت منه أكثر مما تريد، فنمت تلك الليلة فلم تقم إلى الصلاة كما كنت تقوم إليها. فقال له يحيى: لا جرم لا شبعت من الطعام أبدًا حتى أموت. فقال له الخبيث: لا جرم ولا نصحت آدميًا بعدك[١]. وهذا يؤيد ما ذكرناه من أن أحد أسباب تيسير قيام الليل أن لا نُكثر من الطعام والشراب فيغلب علينا النوم، وانظر كيف أن الشيطان لا يمل من محاربتك، وانظر وتأمل فضل التوبة والاستغفار[٢].

فينبغي علينا أن نغتنم ليالي الشتاء في قيام الليل ومراجعة ما حفظناه من القرآن، فإن قيام الليل من أعظم الأسباب التي تُعينك على تثبيت حفظك من القرآن، وأن يكون لك وِرْدٌ في قيام الليل لا تتكاسل أو تغفل عنه، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ ﴾ [الإسراء:٧٩]، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا قام صاحبُ القرآنِ فقرأه بالليلِ والنهارِ ذَكَرَه وإن لم**

(١) انظر «مختصر قيام الليل» للمروزي، و«المختار للحديث في شهر رمضان». رابطة العالم الإسلامي.
(٢) راجع رسالتنا: «المسلم في فصل الصيف».

يَقُمْ به نسِيَه»(١). وعن المغيرة بن شعبة قال: استأذن رجل على رسول الله وهو بين مكة والمدينة فقال: فاتني الليلة حزبي من القرآن وإني لا أوثر عليه شيئا(٢). وعن عقبة بن عامر قال: ما تركت حزب سورة من القرآن من ليلتها منذ قرأت القرآن. وعن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذ الناس نائمون(٣). وكان يقول: قِفُوا عند عجائبه وحَرِّكُوا به القلوب، ولا يكن هَمُّ أحدكم آخر السورة.

فأوصي نفسي ثم إخواني مِمَّنْ منَّ الله عليهم بحفظ القرآن أو بعضه أو أجزاء يسيرة منه بالمداومة على قيام الليل بما منّ الله عليهم به من القرآن، والله المستعان.

---

(١) رواه مسلم، وأحمد، والنسائي.
(٢) انظر «كنز العمال».
(٣) انظر «مصنف ابن أبي شيبة»، و«حلية الأولياء».

ثالثًا: **إسباغ الوضوء على المكاره:**

اعلم أنه من الوظائف الفاضلة في موسم الشتاء؛ الوضوء في شدة البرد، وهو إسباغ الوضوء على المكاره، عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا أدلُّكم على ما يمحو اللهُ به الخطايا، ويرفعُ به الدرجاتِ؟**» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «**إسباغُ الوضوءِ على المكارِه، وكثرةُ الخطا إلى المساجد، وانتظارُ الصلاةِ بعد الصلاةِ، فذلِكُمُ الرباطُ، فذلِكُمُ الرباطُ**»(١).

وفي رواية ابن حبان: «**ألا أدلُّكم على ما يكّفرُ اللهُ به الخطايا ويزيدُ به في الحسناتِ ويكفّرُ به الذنوبَ؟**» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «**إسباغُ الوضوءِ على المكروهاتِ، وكثرةُ الخطا إلى المساجد، وانتظارُ الصلاةِ بعد الصلاةِ، فذلكم الرباطُ**».

وإسباغ الوضوء: تمامه على الوجه الأكمل. **والمكاره**: تكون بشدة البرد والرغبة في النوم، ونحو ذلك.

---

(١) رواه مسلم، ومالك، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان.

قال القاضي عياض رحمه الله: محو الخطايا كناية عن غفرانها، قال: ويحتمل محوُها من كتاب الحفظة ويكون دليلًا على غفرانها، ورفع الدرجات: إعلاء المنازل في الجنة.

وقوله: «**فذلكم الرباط**»: أي الرباطُ المرغوبُ فيه، وأصلُ الرباطِ الحبْسُ على الشيء، كأنه حبَس نفسه على هذه الطاعة، ويحتمل أن يكون أفضل الرباط كما قيل: جهاد النفس[1].

وعن حُمران رضي الله عنه، قال: دعا عثمان رضي الله عنه بوَضوء وهو يريد الخروج إلى الصلاة في ليلة باردة، فجئته بماء فغسل وجهه ويديه، فقلت: حسبك الله والليلة شديدة البرد، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يُسْبغُ عبدٌ الوضوءَ إلا غَفَرَ اللهُ له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر**»[2].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**إسباغُ الوضوءِ في المكارِهِ وإعمالُ الأقدامِ إلى المساجدِ**

---

(١) انظر «شرح صحيح مسلم» للإمام النووي رحمه الله.

(٢) رواه البزار ورجاله موثقون، وقال الهيثمي: إسناده حسن، وحسنه المنذري في «الترغيب».

وانتظارُ الصلاةِ بعد الصلاةِ يغسِلُ الخطايا غسلا»(١).

فاعلم أن إسباغ الوضوء في شدة البرد من أعلى خصال الإيمان وأفضل الأعمال، فهو يمحو الخطيئات ويرفع الدرجات ويُكثر الحسنات وموجب لرضا الرحمن.

لذلك لما أوصى عمر بن الخطاب ﷺ عند موته ابنه عبد الله قال: يا بني عليك بخصال الإيمان. قال: وما هي: قال: الصوم في شدة الحر، وقتل الأعداء بالسيف، والصبر على المصيبة، وإسباغ الوضوء في اليوم الشاتي، وتعجيل الصلاة في يوم الغيم، وترك ردغة الخبال. قال: وما ردغة الخبال؟ قال: شرب الخمر.

وقال يحيى بن كثير: سِتٌّ مَنْ كُنَّ فيه فقد استكمل الإيمان: قتال أعداء الله بالسيف، والصيام في الصيف، وإسباغ الوضوء في اليوم الشاتي، والتبكير بالصلاة في اليوم الغيم، وترك الجدال والمراء وأنت تعلم أنك صادق، والصبر على المصيبة.

---

(١) رواه أبو يعلى، والبزار، والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع».

وأختم الحديث عن إسباغ الوضوء بهذا الحديث الجميل الذي يدل على فضل الوضوء على المكاره وأن من ثمراته أن يعيش المؤمن على خير ويموت على خير ويغفر له ذنبه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، وبعض أصحاب النبي ﷺ، أن رسول الله ﷺ خرج عليهم ذات غداة وهو طيِّب النفْس مشرق الوجه، فقلنا يا رسول الله؛ إنا نراك طيِّبَ النفْس مشرقَ الوجه، فقال: «**ما يَمنعُني وأتاني ربي الليلةَ في أحسن صورة**[1] -قال: أحسبه قال: **في المنام- فقال: يا محمد؛ فقلت: لبيك ربي وسعديك. فقال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: لا أدري أيْ رب قال ذلك مرتين أو ثلاثًا، قال: فوضع كفه**» -وفي رواية: «**يده**»- **حتى وجدْتُ بردَها بين ثديَيَّ أو قال: نحري، حتى تجلى لي ما في السموات وما في الأرض، ثم تلا:** ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام:٧٥]،

(١) قوله: «**أتاني ربي في أحسن صورة**» تُمرر كما جاءت بدون خوض في كيفية هذا الإتيان، والله أعلم.

قال: يا محمد؟ فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: في الكفارات. قال: وما الكفارات؟ قلت: المشي على الأقدام إلى الجماعات، والجلوس في المساجد خلاف الصلوات، وإسباغ الوضوء على المكاره، ومن فعل ذلك عاش بخير، ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه. قال: يا محمد؛ إذا صليتَ فقل: اللهم إني أسألُك فِعلَ الخيراتِ وترْكَ المنكراتِ وحبَّ المساكين وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون. قال: والدرجات: إفشاء السلام وإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام»[1].

فتأمل في هذا الحديث كيف أن الملائكة تختصم في فضائل الأعمال وأزكاها ومكفرات الذنوب، ومنها إسباغ الوضوء على المكاره، والله المستعان.

---

(١) رواه الترمذي، وأحمد، وصححه الألباني، وانظر «صحيح الظلال» و«التعليق الرغيب».

الخـاتـمـة

أخي في الله وأختي في الله؛ بعد هذه الوقفات السريعة حول فصل الشتاء وما ينبغي علينا اغتنامه وفعله في هذا الفصل، أقول: إياك أن تتكاسل عن طاعة الله أو تترك بعض الطاعات بسبب البرد وشدته كصلاة الفجر في جماعة في بيت الله، وكالذهاب إلى حلَق الذِكر ومجالس العلم واتباع الجنائز ونحو ذلك، وهنا يتحقق فيك قول أحد السلف: الشتاء عدو الدين، ولكن اجعل فصل الشتاء كالربيع فهو ربيع المؤمن.

وأعلم وأعترف بأنني ما وفيت هذه الرسالة حقها وما وفيت هذا الموسم حقه، وذلك والله لقلة علمي، وهذا هو جهد المقل، ولعلي أكون قد أسهمت بشيء ولو يسير في تذكير إخواني ببعض واجبات هذا الفصل وأكون قد أدلوت بدلوي في هذه الورقات اليسيرة التي تذكرني بالرَّمَلِ عند طواف القدوم، هذا وما كان

من خطأ أو زلل فمني ومن الشيطان، وما كان من توفيق فمن الله وحده، ولا تحرمني دعوةً منك بظهر الغيب: أن يهدي الله قلبي وأن يرزقني الإخلاص في القول والعمل.

وصل اللهم وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه الفقير إلى الله

أبو علي

زين العابدين بن كامل

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

الفهرس